البنية العائلية من الجماعة إلى الفرد...قراءة سوسيولوجية لتغيرات العائلة الجزائرية.

(دراسة ميدانية بولاية ورقلة)

الطالبة خروبي مفيدة ، أ.د.بن عيسى محمد المهدي

[2.1] جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)

[2.1]مخبر تحول التشكلات الاجتماعية وأثره على الهوية والفعل الاجتماعي للمجتمعات في طريق النمو

Etud2013moufida@gmail.com [1]
elhadibenaissa@yahoo.fr [2]

تاريخ الاستلام : 2020-10-01؛ تاريخ المراجعة : 2021-12-02 ؛ تاريخ القبول : 2022-03-31

الملخص:

أهم ما يمكن إستخلاصه من الدراسات السوسيولوجية التي تناولت العائلة الجزائرية أثناء وبعد الإستعمار، أنها عائلة ممتدة يحكمها نموذج ثقافي تقليدي، و تؤطرها قيم دينية و ثقافية- إجتماعية، و تعمل على إعادة إنتاج نفسها، و المحافظة على هويتها الثقافية و الدينية، كما وقفت في وجه عدة عوامل داخلية و خارجية ،ثقافية ، و إجتماعية و إقتصادية و إيديولوجية ، سعت إلى تفكيكها و تجزئتها، أهمها الإستعمار الفرنسي ، كما بينت الدراسات أن العائلة الجزائرية قد عرفت عدة تغيرات ، سواءا في شكلها التركيبي أي على مستوى البنية ، أو في علاقاتها الداخلية ، أو على مستوى قيمها الإجتماعية، و الدينية و ذلك بفعل عدة عوامل .

في هذا الصدد جاءت دراستنا للبحث في طبيعة العوامل التي أثرت على البنية العائلية و الوقوف على الأشكال الإجتماعية الناتجة عن تفككها ، وتحديد النماذج الثقافية التي تحكمها.

الكلمات المفتاحية: عائلة- نموذج ثقافي- بنية إجتماعية- فرد- هوية- مجال إجتماعي- مجال عمراني.

Abstract:

The most important thing that can be deduced from sociological studies that dealt with the Algerian family during and after colonialism is that it is an extended family ruled by a traditional cultural model, framed by religious and cultural-social values, and it works to reproduce itself and preserve its cultural and religious identity, as it stood in The face of several internal and external factors, cultural, social, economic and ideological, which sought to dismantle and fragment them, the most important of which is French colonialism, and studies have shown that the Algerian family has undergone several changes, whether in its structural form, i.e. on the level of structure, or in its internal relations Or, on the level of its social and religious values, due to several factors.

In this regard, our study came to investigate the nature of the factors that affected the family structure, to identify the social forms resulting from their disintegration, and to identify the cultural models that govern them.

Key words: family - cultural model - social structure - individual - identity - social sphere - urban spher .

I- تمهيد :

لا يمكن للباحث في علم الإجتماع العائلي أن يتعرض بالدراسة إلى إشكالية تفكك البنية العائلية، وبروز الفرد كمحور للعمليات الإجتماعية ، دون التطرق إلى التطورات التي عرفتها البنية الإجتماعية بصفة عامة ، والتي طرأت على البنية العائلية بصفة خاصة.

في هذا الصدد تعددت الدراسات التي عنيت بالتطورات الحاصلة على مستوى البينة الإجتماعية ،والعائلية على حد سواء ،وتعتبر دراسة

" **عدي الهواري**" (عدي 1993) أن العائلة في التنظيم السابق للإستعمار الفرنسي كانت تشكل المستوى الثالث بعد القبيلة والجب، كما هو موضح في الشكل التالي:

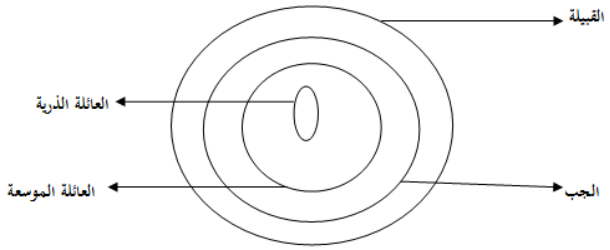

كما يرى "**عدي الهواري**" أنه ليس للعائلة الذرية (وهي خلية تناسلية وأخلاقية) وضع إجتماعي داخل المجموعة وهي لا تتجلى إلا من خلال العائلة الموسعة التي تنتمي إليها، ويضيف أن العائلة الموسعة مكونة من مجموعة عائلات ذرية متعددة الوظائف،كما أنها وحدة سياسية يمثلها زعيمها في الخارج، ولكنها أيضا وحدة إقتصادية إنتاجية و إستهلاكية.

إن أهم وظيفة تقوم بها العائلة الموسعة من بيع جميع وظائفها (الإقتصادية والسياسية والدينية والأخلاقية) هي وظيفتها في تحديد هوية الفرد الإجتماعية وتتجسد وحدة العائلة الموسعة بوحدة السكن.

وأكد "**عدي الهواري**" أن السياسة الإستعمارية لم تستهدف العائلة الموسعة بشكل مباشر كما إستهدفت القبيلة، ومع إضمحلال القبيلة والفروع التي كان يحدد بها المرء هويته الإجتماعي تحولت هذه الوظيفة إلى العائلة و ترسخت فيها، وتساءل عدي الهواري كيف ستتطور العائلة بعد غياب الجب؟ هل ستغير الظروف الإجتماعية الجديدة وظائفها وبنيتها؟.

من خلال هذا الطرح الذي قدمه "عدي الهواري" حول التشكيلة الإجتماعية للمجتمع أثناء التواجد العثماني نستنتج أنه يركز على عاملين تتغير التشكيلة الإجتماعية من خلالهما، ويركز بالدرجة الأولى على الرابط الإقتصادي إذ يرى أنه ثمة شرط أساسي لوحدة العائلة الموسعة هو وحدة الأرض فالعائلات التي تمتلك أرضا تسد حاجات أعضائها الغذائية تمتلك كل شروط الإستمرار ، وهو يوافق من خلال هذا الطرح الماركسي، كما يؤكد بالدرجة الثانية على الرابط الدموي وهو يوافق "لوسيت فالنسي" في هذا الطرح، إذ يرى أن وحدة الأرض تبقى مصانة طالما يبقى الأب زعيم العائلة على قيد الحياة، وغالبا ما ينقسم الإرث بعد وفاته مؤديا إلى إضطراب إقتصادي.

و إذا كان عدي الهواري تساءل عن الكيفية التي ستتطور بها العائلة الموسعة بعد غياب الجب وهل ستغير الظروف الإجتماعية الجديدة وظائفها وبنيتها؟.

فإن "**مصطفى بوتفنوشت**" (بوتفنوشت 1984) قد إنطلق من تساؤل مفاده كيف ستتطور البنية العائلية المنحدرة من العائلة الموسعة؟، ويحيلنا تساؤل "**مصطفى بوتفنوشت**" إلى النقطة التي إنتهي إليها "**عدي الهواري**".

وقد إهتمت دراسة "**مصطفى بوتفنوشت**" بالجانب البنائي للعائلة الجزائرية وركزت على شكل العلاقات الإجتماعية، وقد توصل " **مصطفى بوتفنوشت**" إلى أن شكل العائلة المنتشر بكثرة هي العائلة الأبوية، وهي الشكل العائلي الذي ينحدر من العائلة المتسعة، ولازال يحتفظ ببنية ونشاط هذه العائلة، وأن هذه البنية العائلية في طريقها نحو الإنحلال إلى بنية بسيطة،

وبرر " **مصطفى بوتفنوشت**" ذلك بأن النظام الإقتصادي القائم على الأجر وليس اللإنقسام في الوسط المدني لم يعد يسمح أبدا بوجود نظام البطريكية بشكله الكلاسيكي العادي.

كما يرى " **مصطفى بوتفنوشت**" أن النظام الإقتصادي التقليدي في طريقه إلى التفتت فإن نظام القيم وأشكال علاقات القرابة تتغير تحت تأثير هذا التغير وما نتج عنه من ظروف.

ويشير إلى ظهور قانون مدني ينافس القانون العرفي" الشرف"، ويضيف أن وضع الأب لا يزال متميز ، كما أنه يلعب دورا إقتصاديا أقل أهمية من الدور الذي كان يؤديه في البنية الإقتصادية التقليدية .

إنطلق "مصطفي بوتفنوشت" من النقطة التي توقف عندها "عدي الهواري" كما أن رؤيته لعميلة التغير وآلياته لا تختلف عن التفسير الذي قدمه " عدي الهواري"، إذ تطرق إلى البنية العائلية المنحدرة من العائلة الموسعة وما هي التحولات التي تعرفها هذه البنية كما كشف عن الأسباب والنتائج ، كما ركز "مصطفي بوتفنوشت" على العامل الإقتصادي كعامل أساسي في تتغير بنية العائلة المنحدرة من العائلة الموسعة، لكونه ربط تغير نظام القيم وأشكال علاقات القرابة كنتيجة حتمية لتفتت النظام الإقتصادي التقليدي، وإذا كان "عدي الهواري" قد أولى أهمية للرابط الدموي و المتمثل في موت الأب الذي قد يؤدي إلى تغير بنية العائلة، فإن " مصطفى بوتفنوشت" أشار إلى جملة من الظروف الخارجية التي تعمل على تغيير شكل وبنية العائلة الممتدة المنحدرة من العائلة الموسعة وتمثل هذه الظروف في إتجاه الأبناء نحو ميدان العمل المأجور والذي قد يؤهلهم إلى منافسة الأب في تغطية نفقات هذه العائلة، كما أن القانون المدني الذي أصبح ينافس القانون العرفي "الشرف"، وكذا إختفاء "الجماعة" لتترك المجال لتسيير حياة الأفراد من طرف المجلس البلدي،بالإضافة إلى التغير الذي عرفته مكانة المرأة بعد تعليمها ودخولها ميدان العمل المأجور.

ويرى "**العياشي عنصر**"(عنصر2008) أن الأسرة توجد في قلب تحولات كبرى تمس مختلف مناحي الحياة الإجتماعية، ولعل أهم ما يميز تلك التحولات هو الإنتقال من مظاهر وأنماط سلوك وممارسات وأساليب حياة ذات طابع محلي خاضعة في إشتغالها لآليات محلية تحددها طبيعة الأنظمة والقوى الإجتماعية وأهدافها وخياراتها المرتبطة بعناصر ثقافتها وهويتها الإثنية والدينية إلى عمليات تخضع لعقلانية كونية تتحكم فيها عوامل ومتغيرات جديدة تتجاوز تلك المحددات التقليدية.

ويرى " العياشي عنصر" أن الصفة المميزة للتشكيلات الإجتماعية العربية كونها تشكيلات غير مكتملة، وغير ناضجة تتسم بتمفصل وتقاطع أو تعايش عدة أنماط ونماذج من العلاقات وأشكال التنظيم تنتمي إلى تشكيلات تاريخية متباينة، تشكيلات قبل رأسمالية قائمة على المتحدات الإجتماعية (القبيلة، العشيرة، العائلة الممتدة)، وتشكيلات رأسمالية محيطية أو تابعة ومشوهة (قائمة على أشكال هجينة وغير مكتملة التكوين من الطبقات الإجتماعية، و التراتبية المهنية، وتنظيمات المجتمع المدني، والأسرة الأولية).

وقد قدم "**هشام شرابي**" (شرابي 1993)، أطروحته حول النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي و تعتبر أهم الدراسات التي تطرقت إلى التحولات التي عرفتها البنية الإجتماعية وهدف "**هشام شرابي**" من وراء بحثه إلى الكشف عن أسباب تخلف المجتمع العربي وكيفية تجاوز هذا التخلف والتغلب عليه ويرى "أن مصير هذا المجتمع يتوقف على مقدرته في التغلب على نظامه الأبوي(والأبوي المستحدث) و إستبداله بمجتمع حديث".

وقد إنطلق من الفرضية التالية: لن يكون هناك تحرير دون إزاحة الأب رمزا وسلطة وتحرير المرأة قولا وفعلا.

وعرف المجتمع الأبوي بأنه نوع محدد من البنية الإجتماعية-السياسية، وهي بنية ذات قيم وخطابات وممارسات، وتعتمد هذه البنية على نمط إقتصادي مميز، ويرى أن الأبوية هي سمة العلاقة الإجتماعية المركزية للتشكل الإجتماعي السابق على الرأسمالية. ويرى من خلال هذا الطرح أن بنية العائلة من حيث السلطة والعلاقات وكذا مكانة المرأة هي إنعكاس للبنية الإجتماعية القائمة على السلطة الأبوية وأن هذه السلطة تتجسد بشكل واضح في العائلة، كما يرى أن التغيير الذي عرفه المجتمع العربي خلال المائة سنة الأخيرة لم يعمل على تفكيك البنية التقليدية و إستبدالها ببنية حديثة، وأن التغيير تناول

السطح والمظهر والقشرة فقط ، وأن مظاهر التغيير التي مست هذه البنية كضرورة لمواكبة التغيرات الحاصلة في المجتمعات العربية.

ويعتبر طرح "هشام شرابي" التشكيلة الإجتماعية تشكيلة هجينة كانت نتيجة لعملية التحول من مجتمع أبوي تقليدي إلى مجتمع حديث دون إستكمال عملية التحول بشكل نهائي،مما ساعد في ظهور تشكيلة إنتقالية لا هي حديثة ولا هي تقليدية .

ونلاحظ من أطروحة هشام شرابي أن العوامل الإقتصادية المتمثلة في تطور قوى الإنتاج أو البنية التحتية لا تشكل العامل الحاسم في عملية التغير ، بل أكد على عوامل أخرى متعلقة بالبنية الإجتماعية العربية ومن ضمنها العائلية و إقترح **"هشام شرابي"** تصورا لتجاوز هذا التخلف الذي يقيد المجتمع العربي مبينا أن التغير لا يحدث دفعة واحدة وأن التغير الذي من خلاله يمكن أن نتجاوز هذا التخلف ينبغي أن يمس البنية التحتية المادية (النمو الإقتصادي على نمط عقلاني) وهو في هذا الطرح يوافق " **كارل ماركس"**، كما ينبغي أن يمس المؤسسات الإجتماعية (مثلا في تركيب الأسرة)، كما أكد على ضرورة تحرير المرأة من العبودية و وضح أن تحرير المرأة السبب الرئيس في إحداث التغيير الإجتماعي.

وما يمكن ملاحظته و إستنتاجه من الدراسات السابقة أنها إهتمت بالمجال الإجتماعي فقط للعائلة، ولم تعطي أهمية للمجال العمراني، أي أنه لم يتم أخذ مضامين المجالات العمرانية ، كما أنها ركزت على أن التغير الذي تعرفه البنية الإجتماعية كان كحوصلة لتغير العوامل الإقتصادية بالدرجة الأولى، وفي رأينا أنه إذا تغيرت الروابط الإقتصادية لا يغيب التضامن وإنما يتغير شكله كما أكد ذلك "إيميل دوركايم" ، والتغير الذي تعرفه البنية الإجتماعية والعائلية على حد سواء إنما كحوصلة للتغيرات الثقافية بالدرجة الأولى و التي تعمل على تغيير مضامين المجالات الإجتماعية والنماذج الثقافية التي تحكمها، بعبارة أخرى تتغير بنية العائلة بتغير النموذج الثقافي الذي يحكمها مما يؤدي إلى ظهور أنماط جديدة تساير التحولات الإجتماعية والثقافية و الإقتصادية.

ولتوضيح ذلك سنتجاوز في هذا البحث الطرح الماركسي والبنيوي الوظيفي لنقف عند طبيعة العامل الحاسم الذي تتغير من خلاله البنية العائلية إنطلاقا من المنظورات السوسيولوجية المعاصرة التي تنطلق في تصورها من الفرد كذات له القدرة على إنتاج تفاعلاته في المجالات الإجتماعية (بن عيسى، بغدادي- 2019ص 252) .

وذلك من خلال فهم المعاني التي تحكم أفعال وتفاعلات الأفراد في المجالات الاجتماعية المتعددة ويعملون على إنتاجها أو إعادة إنتاجها وأصبحت تطبع هوياتهم في علاقاتهم بالمجالات التفاعلية وكذلك في علاقاتهم بمجالاتهم العمرانية ، لأننا نعتقد أن الفرد يقوم بممارساته وفق ما تعنيه له الموضوعات المختلفة المطروحة أمامه سواء كانت موضوعات مجردة أو ممارسة أو فعل اتجاه الآخرين أو اتجاه المجال العمراني المتواجد فيه أو الموضوعات المجردة " (بن عيسى ، بغدادي، 2019 ، ص254).وذلك إنطلاقا من الإفتراضات التالية:

1- يتشكل المجتمع من مجالات إجتماعية متعددة ومتنوعة يتفاعل فيها الفرد المتعدد الذي هو منتوج هذه المجالات وناتج لها في نفس الوقت.

2- هذه المجالات الإجتماعية يحكمها نموذج ثقافي يتشكل من المعاني والرموز التي أنتجها المتفاعلين وعلى أساسها يتفاعلون ويعيدون إنتاجها وبذلك يضمن هذا المجال إستمراريته.

3- النموذج الثقافي الذي يحكم هذه المجالات الإجتماعية يطبع هويات الأفراد المتفاعلين فيه بنفس المعاني والرموز التي يتضمنها هذا النموذج وذلك حسب درجة إنتماء وإندماج هؤلاء الأفراد المتفاعلين في المجال الإجتماعي من عدمه.

4- الهوية المشكلة في المجال الإجتماعي تعمل على إعادة إنتاج هذا المجال بأشكال متعددة ومتنوعة.(ين عيسى، بغدادي،2019،ص253).

ويمكن تعريف المفاهيم الأساسية التي يقوم عليها هذا الطرح كما جاء به بن عيسى محمد المهدي:

1-مفهوم النموذج الثقافي:

هو مجمل التصورات و التمثلات التي يكونها الفرد عن ذاته وعن المجال أو المجالات التي يتفاعل معها سواء كانت اجتماعية أو عمرانية، ويضم كذلك مجمل الموارد والعوائق التي توجه أفعاله وتفاعلاته سواء بعلاقته بالمحيط العمراني الذي يعيش فيه أو علاقاته بالمجالات التي يتفاعل معها ومنها تتشكل لديه ولدى الآخرين الهوية الذاتية والجماعية التي يعمل على إنتاجها و إعادة إنتاجها سواء بوعي أو بدون وعي منه.(بن عيسى، 2013، ص 12).

2- مفهوم المجال العمراني:

هو كل معطى جغرافي بكل مقوماته الطبيعية و الإقتصادية ، كما يتضمن كذلك المنتوج العمراني للتفاعلات التي تتم في المجال الإجتماعي ثم يصبح بعد ذلك نتاجا لها. (بن عيسى، 2013، ص 08).

3-مفهوم المجال الإجتماعي:

هو الحقل الذي تتم فيه عملية التفاعل بين المعني ومحيطها الإجتماعي،والمجال الإجتماعي لا يمكن تحديده نظريا من طرف الباحث بل يتحدد وفق المعاني التي يعطيها المبحوث له، فهو المعنى الثقافي الذي يتفاعل من خلاله المعنيين ويعملون عن طريق تفاعلاتهم اليومية على إنتاجه وإعادة إنتاجه، والمجال الإجتماعي عملي يتحدد من طرف المعني نفسه، فالمعني هو الذي يحدد المجال أو المجالات التي يتفاعل فيها ومعها ويحدد كذلك شدة ومدة التفاعل.(بن عيسى،2013،ص 08).

وللوقوف على معالم المجال الإجتماعي للمبحوثين على الباحث أن من جملة المؤشرات الإفتراضية التالية:

1- طبيعة العامل أو المقوم الذي يحكم و يؤطر العلاقة الإجتماعية (عامل قرابي، عامل إجتماعي ثقافي، عامل عمراني..).

2- طبيعة النشاط الإقتصادي المسيطر للأفراد المتفاعلين في نفس المجال العمراني.

3- المستوى التعليمي للأفراد المتفاعلين في نفس المجال العمراني.

4- طبيعة علاقة إرتباط المبحوثين بالمجال العمراني محل الدراسة ((سكان أصليين، أو وافدين أو غير مستقرين).

5- التشابه و الإختلاف في العادات والتقاليد بين الأفراد المتواجدين في نفس المجال العمراني وسبب ذلك.

6- إمتلاك كل الأجهزة ذات الإستعمال المنزلي الحديثة من عدمها.(بن عيسى 2013، ص13).

4-مفهوم الهوية:

هي المحصلة لمختلف المعاني التي يرسمها الفرد عن ذاته إنطلاقا من خبراته البيوغرافية واللحظية والتي ينطلق منها في إقامة علاقات تفاعلية مع الآخر على أنه ذات مختلفة عنه للقيام بأفعاله وبناء إستراتيجياته الخاصة، هذا لأننا إنتقلنا في دراستنا للهوية من وحدة التحليل الكلية إلى الفرد المتعدد ، لأن الفرد المتعدد أصبح منتوج مجالات تفاعل متعددة ومتنوعة وبالتالي الإنسجام في هذه الوحدة لا يأتي من خارج الفرد ومن خارج هويته بل يأتي من قدرة الفرد على إختيار المعاني والتفاعلات التي تحقق له هذه الوحدة وهذا الإنسجام.(بن عيسى، بغدادي، 2019، ص 256).

II - الطريقة والأدوات :

المنهج الكيفي:

يعرف المنهج الكيفي بناءا على موقف إجرائه بأنه الدراسة التي يتم القيام بها في الموقف الطبيعي، حيث يقوم الباحث بجمع البيانات(الكلمات أو الصور) ثم يحللها بطريقة إستقرائية مع التركيز على المعاني التي يذكرها المشاركون (أفراد العينة) في البحث. (مقداد، 2013، ص 14).

بصيغة أخرى يهتم البحث الكيفي بدراسة كيف يفكر الناس ويتصرفون في حياتهم اليومية ، وقد وصف الباحثون البحث الكيفي بأنه بحث طبيعي، أي أن الباحثين ينهجون إستراتيجيات تقتدي بالطرق التي يتصرف بها الناس في مجرى حياتهم العادية، حيث يتفاعل الباحث مع مخبريه و مبحوثيه بطرق طبيعية وبشكل مستتر، ففي البحث المعتمد على الملاحظة

بالمشاركة يحاول معظم الباحثين أن يتقمصوا أدوار المبحوثين ويتقاسمون معهم حياتهم اليومية على الأقل إلى أن يتوصلوا إلى فهم الوضعية، كما أن الباحثين الذين يستعملون المقابلات يقومون بنمذجتها في شكل محادثات تشبه المحادثات في الحياة العادية وليس في شكل حوار يعتمد السؤال والجواب.

كما يهدف البحث الكيفي إلى وصف التجارب الإجتماعية والنفسية للأفراد والجماعات " من الداخل" أي إنطلاقا من وجهات نظر الناس المشاركين في الدراسة كمبحوثين، وهو يسعى بذلك إلى بلوغ فهم أفضل للوقائع الإجتماعية وأنساق المعنى والخصائص البنيوية.(أحجيج و فزة، 2019، ص 44).

ونظرا لخصوصية بحثنا الموسوم ب **البنية العائلية من الجماعة إلى الفرد...قراءة سوسيولوجية لتغيرات العائلة الجزائرية.** وحداثته، وتباين المجالات العمرانية ، وعدم تجانس المجالات الإجتماعية ، و إختلاف النماذج الثقافية التي تحكمها ، و التي تم إختيارها بغرض إجراء الدراسة الميدانية ، ورغبة منا في تغطية المتغيرات الشخصية ، و المجالية ، و العلائقية للمبحوث ، فإننا سنعتمد على المقابلة غير المبنية في جمع المعطيات الميدانية .

المقابلة غير المبنية:

تتميز المقابلة غير المبنية، التي تسمى أيضا المقابلة غير الموجهة، بكونها تتكون من أسئلة مفتوحة ولا تعتمد على ما يسمى" دليل مقابلة" يتضمن مجموع الأسئلة التي يجب طرحها على المبحوث، بخلاف المقابلة المبنية أو الموجهة التي تتكون من لائحة من الأسئلة المعدة سلفا، بعبارة أخرى إن الهدف من اختيار المقابلة غير المبنية هو الاستكشاف الدقيق لمواضيع معينة بإستعمال التحقيقات والتحفيزات والأسلوب المرن في طرح الأسئلة، بمعنى أن الباحث ليس ملزما بطرح نفس الأسئلة على جميع المبحوثين وبنفس الترتيب، لذا ينبغي على الباحث أن يحتفظ في ذهنه بأن المقابلة غير المبنية تقوم على فكرة أن إنتاج المعطيات وجمعها ممارسة مشتركة بين الباحث والمبحوث، ذلك أن والتحفيزات والتحقيقات في المقابلات الكيفية تسمح للباحث والمبحوث بالدخول في حوار مثمر حول الموضوع المدروس، وتجعلهم يتحققون مما إذا كانوا يقتسمون الفهم نفسه للمعاني التي يتم توليدها (أحجيج، و فزة، 2019ص 98.).

الملاحظة بالمشاركة:

و فيها يندمج الباحث مع عينة بحثه، ويصبح مصاحبا لهم في معظم الأوقات، أي أنه يلاحظ سلوكهم في موضوع بحثه وهو يشاركهم أيضا بقية أعمالهم وقضاء أوقاتهم، وقد تدوم الملاحظة بالمشاركة شهورا أو سنين، كأن يعمل الباحث أو يدرس مع عينة بحثه.(رشيد زرواتي ، ، ص 222.)

ولأننا إعتمدنا على المقابلة كتقنية لجمع المعطيات البيانية ، فإنه ترفق (المقابلة) دائما مع تحليل المضمون كما أشار " **ريمون كيفي**" و " **لوك فان كمبنهود**" **(** كيفي و كمبنهود، 1997، ص 232.**)**

تحليل المحتوى:

يعرفه "**روجي ميتشلي**" " انه مجموعة من الطرق المتنوعة، والموضوعية، والممنهجة، والكمية، والمستنفذة ، يكون هدفها المشترك استخراج اكبر قدر ممكن من المعلومات الخاصة بالأشخاص أو الأحداث أو المواضيع والاهم من كل ذلك هو إعطاء معاني لتلك المعلومات" (تمار، **مناهج وتقنيات البحث في الدراسات الإعلامية- الاتصالية**، ،2017، ص125.).

ويعرفه " **لورانس باردن**" " بأنه مجموعة من الإتصالات التي تستعمل إجراءات منسقة وموضوعية لوصف المحتوى والحصول على مؤشرات كمية أو غير كمية، يمكن من خلالها الإستدلال على المعارف الخاصة بشروط إنتاجها. (تمار، **أصول تحليل المضمون وتقنياته**، ،2017، ص 08.)

1- **فئة الموضوع:** وهي الفئة التي تسمح بالتعرف على الموضوع المعالج أو الذي يتطرق إليه نص الإتصال (سبعون، 2012، ص 232).، وتعتبر فئة الموضوع (thème) أساسية يتم على أساسها تحديد الفئات الأخرى، ولا يمكن الإنتقال إلى باقي الفئات دون تحديد هذه الفئة. (نفوستي، 2016، ص 152)

وعليه فإن فئة الموضوع التي تناسب موضوع دراستنا هي التغيرات التي طرأت على العائلة الجزائرية من حيث الشكل والمضمون.

2- **فئة الإتجاه:** تعتبر فئة الإتجاه (direction) من أكثر الفئات إستخدامات يحدد على أساسها إتجاه القائم بالإتصال (نفوستي، 2016، ص 152) ، وهي الفئة التي تبين الموقف أو المواقف التي يبديها نص الإتصال، إذ يمكن لمحتوى ما أن يبدي موقفا أو مواقف معينة من موضوع ما، من ظاهرة ما، من رأي ما، ويعطي الإتجاه المواقف الآتية: مؤيد، معارض، أو غير مؤيد، محايد، أو لا يتخذ موقفا معينا وواضحا في نص الإتصال. (سبعون، 2012، ص 233)..

فئة القيم: لفئة القيم (Valeurs)أهمية كبرى تمكن الباحث من تصنيف المعتقدات والعادات سواء لدى الأفراد أو الجماعات، إن كانت جلية أو ضمنية داخل الوثيقة، تعتبر هذه الفئة جد مهمة ،إذ تعتبر القيم " مقاييس يستخدمها الناس لتنظيم وترتيب رغباتهم المتنوعة، سواءا أكان موضوع الرغبة ماديا،أو علاقة إجتماعية،أو أفكارا عامة، أو شيئا يتطلبه ويطلبه المجتمع، وهي تعمل على ضبط سلوك الأفراد في تعاملهم مع بعضهم البعض. (نفوستي، 2016، ص 156).

وقد تم تقسيم فئة القيم في موضوع بحثنا إلى: قيم إجتماعية- قيم دينية- قيم ثقافية.

الدراسة الميدانية:

وقد قمنا بإستطلاع ميدان الدراسة المتمثل في ولاية ورقلة عبر فترات زمنية متفاوتة تم من خلالها رصد عدة مجالات عمرانية ومحاولة فهم طبيعة المجالات الإجتماعية التي تحكمها، وقد إنطلقت الدراسة الإستكشافية يوم الأحد 07 أكتوبر 2018 إلى غاية يوم الأحد 16 جوان 2019 إذ قامت الباحثة مسبقا بتقسيم ولاية ورقلة إلى عدة مجالات عمرانية، وعن طريق **العينة العنقودية** تم إختيار المجالات التي سنعتمدها في الدراسة، كما قامت الباحثة ببناء شبكة ملاحظة لرصد المفردات، التي ستتم مقابلتها و إعتمادها كحالات حاملة للظاهرة موضوع الدراسة ، كما تمت ملاحظة طبيعة المجال العمراني من حيث البناء وطبيعة النشاط الإقتصادي، وكذا محاولة فهم طبيعة المجالات الإجتماعية وذلك من خلال فهم وتأويل وتفسير أفعال المفردات التي ستتم مقابلتها و إعتمادها كحالات حاملة للظاهرة موضوع الدراسة ،ويرى **"بن عيسى محمد المهدي"** "أننا نقوم بهذه الخطوة بغية فهم المعاني التي تحكم أفعالهم وتفاعلاتهم في مجالهم الإجتماعي الأصلي وكذا مختلف المجالات التي يتفاعلون ويعملون على إنتاجها أو إعادة إنتاجها و أصبحت تطبع هوياتهم في علاقاتهم بالمجالات التفاعلية وكذلك في علاقاتهم بمجالاتهم العمرانية ، لأننا نعتقد أن الفرد يقوم بممارساته وفق ما تعنيه له الموضوعات المجردة".(بن عيسى وبغدادي،2019، ص 254)

عينة الدراسة:

وقد بدأت الباحثة في إجراء المقابلات الميدانية متخذة من مبدأ التشبع (تشبع العينة) نقطة توقف للمقابلات في كافة المجالات العمرانية، إذ يرى " **حسن أحجيج**" و " **جمال فزة**" أن الوفاء لمبادئ البحث الكيفي يقتضي من الباحث الإلتزام بقاعدة "التشبع"الذي يعني أن جمع معطيات متكررة لا يفيد في تسليط مزيد من الضوء على الموضوع المدروس (أحجيج و فزة،2019، ص 60).

إنطلقت الدراسة الميدانية الفعلية يوم الأربعاء 04 سبتمبر إلى غاية يوم الأربعاء 27 نوفمبر 2019 ، وقد تم إجراء الدراسة الميدانية وفق المراحل التالية:

-**المجال العمراني بامنديل:** وقد تمت الدراسة الميدانية وإجراء المقابلات في هذا المجال في الفترة الممتدة من يوم الأربعاء 04 سبتمبر إلى غاية يوم الإثنين 23 سبتمبر2019 ، تمكنت الباحثة في هذه الفترة من مقابلة 14 مبحوث .

-**المجال العماني البور:** تمت الدراسة الميدانية وإجراء المقابلات في الفترة الممتدة من يوم الأحد 29 سبتمبر إلى غاية يوم الأربعاء16 أكتوبر2019 ، تمكنت الباحثة في هذه الفترة من مقابلة 08 مبحوثين.

-**المجال العمراني حي النصر – الخفجي-:** تمت الدراسة الميدانية ولجراء المقابلات في الفترة الممتدة من يوم الأحد 20 أكتوبر إلى غاية يوم الأربعاء 27 نوفمبر 2019، تمكنت الباحثة في هذه الفترة من مقابلة 14 مبحوث.

-ليكون بذلك مجموع المفردات التي تمت مقابلتها 42 مفردة.

II- النتائج ومناقشتها :

في دراستنا الموسومة ب العائلة الجزائرية بين البنية الإجتماعية والفرد...قراءة سوسيولوجية في عوامل تغير النظام **العائلي،** وبعد فهم وتأويل وتفسير خطاب المبحوثين تم التوصل إلى جملة من النتائج و يمكن إدراجها كما يلي:

التغير الذي عرفته البنية العائلية كان كحوصلة للتغيرات الثقافية و الإقتصادية التي تعمل على تغيير مضامين المجالات الإجتماعية والنماذج الثقافية التي تحكمها، بعبارة أخرى تغيرت بنية العائلة بتغير النموذج الثقافي الذي يحكمها مما أدى إلى ظهور أنماط أسرية جديدة تساير التحولات الإجتماعية والثقافية و الإقتصادية.

التغيرات طرأت على البنية العائلية الجزائرية وأدت إلى ظهور أنماط أسرية جديدة كانت على المستوى البنية و المضمون ويمكن إجمالها فيما يلي:

أولا فيما يخص الشكل:

العائلة التقليدية الممتدة تسير نحو الزوال و الإضمحلال ويبرر ذلك ببروز أنماط أسرية جديدة تختلف من حيث الشكل عن العائلة الممتدة، يعتبر النمط الإنتقالي والإنتقالي المتحول أبرز هذه الأنماط، ويتميز نوعا ما بالحفاظ على شكل العائلة الممتدة من حيث الحجم فقط ويواكب التحولات السوسيوثقافية التي يعرفها المجتمع الجزائري وذلك على مستوى السلطة والعلاقات، كما برزت بالموازاة أنماط أسرية أخرى تشمل على خصائص الأسرة الحضرية من حيث الحجم (عدد أفراد محدود) وكذا على مستوى السلطة والعلاقات.

ثانيا فيما يخص المضمون:

1- خضعت العائلة التقليدية الممتدة التي تتميز بالهوية الجماعية و يحكمها نموذج ثقافي تقليدي قائم على السلطة الأبوية القول الفصل فيه للعرف والعادات والتقاليد،إلى جملة من التحولات بفعل عوامل إجتماعية ، ثقافية بالدرجة الأولى مما أدى إلى تغيير النموذج الثقافي التقليدي بآخر حديث قائم على التفاعل و المشاركة و الديمقراطية وأصبح للفرد هامش من الحرية.

2- النموذج الثقافي الحديث القائم على التفاعل والمشاركة والديمقراطية ساهم في إنفلات الفرد من البنية الإجتماعية التقليدية لتتحول العائلة إلى مجموعة من الأفراد تحكمهم علاقات عمرانية فقط .

3- الأفراد الذين ينتمون الى الأنماط الأسرية الناتجة عن تفكك البنية العائلية الممتدة يتفاعلون في عدة مجالات إجتماعية مختلفة العمل، الأصدقاء، النوادي الرياضية، المجال الإفتراضي ، مواقع التواصل، الجامعة... لا يحكمهم نموذج ثقافي محدد، بل تحكمهم نماذج ثقافية متعددة بتعدد المجالات التي يتفاعلون فيها.

4- تباين وتعدد مضامين النماذج الثقافية التي يتفاعل فيها الأفراد تؤدي الى تباين وتنوع هوياتهم الفردية ويمكن تحديد هذه الهويات ضمن ما يلي:

- **الهوية الفاعلة:** وهي هوية الفرد الذي يتفاعل بوعي في مختلف المجالات بإستمرار ويعمل على إنتاج وتوزيع الرموز والمعاني التي يتلقاها في مجالات تفاعله ويمثل هذا النوع من الهوية 03 حالات .

- **الهوية المندمجة:** وهي هوية الفرد الذي يستهلك كل المعاني والرموز التي يتلقاها من خلال تفاعله في مختلف المجالات الإجتماعية ويعيد إنتاجها دون أية موانع ويمثل هذا النوع من الهوية 08حالات .

- **الهوية المغتربة:** وهي الهوية التي تتفاعل دون وعي في مختلف المجالات وتعمل على إستهلاك المعاني والرموز دون وعي منها مما يجعلها تتخلى عن نموذجها الثقافي الأصلي و إغترابها إلى نموذج ثقافي آخر ويمثل هذا النوع من الهوية 10 حالات .

- **الهوية المشتتة:** وهي هوية الفرد الذي يتفاعل دون وعي و بإستمرار في عدة مجالات إجتماعية تتباين وتختلف مضامينها الثقافية وستهلك معاني ورموز كل هذه المجالات دون وعي فتتميز هويته بالإغتراب عن نموذجه الثقافي الأصلي إلى عدة نماذج ثقافية فيصبح مشتت بينها، ويمثل هذا النوع من الهوية 10 حالات ، ويتميز الأفراد الحاملين لهذا النوع من الهوية بالتقليد، لغتهم مزيج بين العربي والفرنسي، ملابسهم غريبة ممزقة وتسريحات شعر تواكب الموضة.

- **الهوية المنسحبة:** وهي هوية الفرد الذي يحافظ على نموذجه الثقافي الأصلي ولا يرغب بإستهلاك معاني ورموز مجالات ثقافية مغايرة لمجاله الأصلي ويمثل هذا النوع من الهوية 07حالات .

- **الهوية الحاملة لمشروع التغيير وتعتمد على الصراع كإستراتيجية:** وهي هوية الفرد الذي يتفاعل بوعي وبإستمرار في مجالات إجتماعية مختلفة فيقوم بإستهلاك الرموز والمعاني بوعي و يبرز هذا النوع من الهوية على مستويين:

- **أولا:** فاعل يحمل نموذج ثقافي معين ويرفضه ويتفاعل في مجالات مختلفة فيرغب في تغيير نموذجه الثقافي الأصلي إنطلاقا من الرموز والمعاني التي إستقاها من المجالات التي كان يتفاعل فيها بمعنى يرغب في توزيع معاني ورموز المجالات التي يتفاعل فيها في مجاله الأصلي ويمثل هذا النوع من الهوية ثلاث حالات.

- **ثانيا:** فاعل يحمل نموذج ثقافي أصلي ويتفاعل في عدة مجالات و يرغب في توزيع معاني ورموز نموذجه الثقافي الأصلي في المجالات التي يتفاعل فيها ويمثل هذا النوع من الهوية حالة واحدة .

5-تعكس هذه الأنواع من الهويات بصورة مباشرة إنفلات الأفراد من البنية العائلية و يتمظهر ذلك في النماذج الثقافية التي يتفاعلون من خلالها وتتنافى بشكل واضح مع النموذج الثقافي الأصلي (النموذج الثقافي للأسرة) ومن أهم التمظهرات التي تم إستخلاصها من فئة القيم:

-الزواج القائم على الإختيار الشخصي لدى الأبناء يوضح تراجع الأب عن سلطته وعدم قدرته على إنتاج معاني النموذج الثقافي الأصلي وإعادة توزيعها وتتمثل هذه المعاني والرموز في الزواج الداخلي الذي تشجعه العائلة الممتدة، إذ أصبح الإبن ينتج المعاني المتعلقة بالزواج ويعيد توزيعها داخل الوسط الأسري بهذا تراجع الزواج التقليدي لصالح الزواج الخارجي القائم على الإختيار الشخصي ، ونلاحظ ذلك في المجال العمراني الحضري أكثر مما هو عليه في المجالين العمرانيين الريفي والشبه حضري.

-المرأة لم تعد مستهلك للمعاني والرموز فقط، إذ أصبحت تساهم في إنتاجها وتوزيعها ويتضح ذلك من خلال حريتها في إختيار شريك الحياة، والتعليم والعمل وشبكة علاقاتها الإجتماعية .

-من مظاهر تراجع الأب عن دوره كفاعل يعمل على إنتاج الرموز وتوزيعها تغير القيمة الثقافية للباس ويتجلى ذلك في الملابس الممزقة والضيقة والتسريحات الغريبة و غيرها من المظاهر الناتجة عن إستهلاك الأبناء لمعاني ورموز تتعلق بنماذج ثقافية حديثة وتختلف تماما مع النموذج الثقافي الأصلي الذي يحكم الأسرة الجزائرية.

IV- الخلاصة :

أهم ما يمكن إستخلاصه أن البنية العائلية تعرضت للتغير بفعل عدة عوامل إقتصادية ثقافية وإجتماعية وتكنولوجية، وقد طرأت هذه التغيرات على مستوى البنية والمضمون، وتؤكد الدراسة أن التغير الذي عرفته البنية العائلية ، جاء كحوصلة للتغيرات الثقافية و الإقتصادية التي تعمل على تغيير مضامين المجالات الإجتماعية ،و النماذج الثقافية التي تحكمها، بعبارة أخرى تتغير بنية العائلة بتغير النموذج الثقافي الذي يحكمها ،مما يؤدي إلى ظهور أنماط جديدة تساير التحولات الإجتماعية والثقافية و الإقتصادية.

وما يمكن إستنتاجه أيضا أن الأنماط الأسرية الناتجة عن التغيرات السوسيوثقافية هي أنماط أسرية إنتقالية هجينة ، تؤمن بقيم النمط الأسري التقليدي، وتواكب سيرورة التغيرات السوسيوثقافية من حيث التركيبة والشكل، كما أن هذه الأنماط الأسرية تعطي لأفرادها هامشا من الحرية ،بدرجات متفاوتة وتبعا لبعض المتغيرات الإجتماعية والثقافية،كطبيعة المجال العمراني والإجتماعي وكذا طبيعة النموذج الثقافي الذي يحكمه، بالإضافة إلى المستوى الثقافي والتعليمي وغيرها من المتغيرات.

بالإضافة إلى ماسبق، يمكننا أيضا أن نستنتج، أنه بفعل التغيرات التكنولوجية المتسارعة ،وبروز الإعلام الجديد بمختلف آلياته كتعبير عن المرحلة ظهرت قيم سوسيوثقافية جديدة لم تعرفها الأسرة الجزائرية من قبل عملت على تغييرها على مستوى البنية وكذا العلاقات، وأصبحت تمهد لبروز الفرد كمحور للعمليات الإجتماعية .

- **الإحالات والمراجع :**

1- أحجيج، حسن. و فزة، جمال. (2019). **البحث الكيفي في العلوم الإجتماعية – نظريات وتطبيقات-**.(ط1). المغرب:، فضاء أدم للنشر والتوزيع.

2- بوتفنوشت، مصطفى. (1984). **العائلة الجزائرية : التطور والخصائص الحديثة**، (ترجمة دمري أحمد). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

3- تمار، يوسف. (2017). **أصول تحليل المضمون وتقنياته.** (ط1) . الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

4- تمار، يوسف. (2017) . **مناهج و تقنيات البحث في الدراسات الإعلامية- الاتصالية**. (ط1). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

5- زرواتي، رشيد.**تدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم الإجتماعية.** (ط3). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

6- سبعون، سعيد. (2012) . **الدليل المنهجي في إعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الإجتماع**. (ط2) .الجزائر: دار القصبة .

7- شرابي، هشام.(1993). **النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي**.(ترجمة محمود شريح) . (ط2). لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

8- عدي، الهواري.(1983). **الإستعمار الفرنسي في الجزائر: سياسة التفكيك الإقتصادي –الإجتماعي 1830-1960**. (ترجمة جوزيف عبد الله،). لبنان : دار الحداثة.

9- كيفي، ريمون. و فان كمبنهود، لوك .(1997) . **دليل الباحث في العلوم الإجتماعية** (ترجمة يوسف جباعي) . (ط1). لبنان: المكتبة العصرية.

10- مقداد،محمد. (2013). **مناهج البحث الكيفي في علم النفس**. (ط1) . الجزائر: دار التنوير.

11- بن عيسى ، محمد المهدي.(مارس 2013). **من أجل سوسيولوجيا لمجتمع الاتصال الإذاعة المحلية في الجزائر، ذات أو موضوع؟** : مجلة الباحث في العلوم الإنسانية و الاجتماعية . (10). الجزائر: جامعة قاصدي مرباح-ورقلة.

12- بن عيسى بن مهدي ، بغدادي خيرة ، **(**2019**).المنهج الكيفي 2 الفهم ، التأويل و التفسير .** مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية . مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية **.** (4)الجزائر:جامعة قاصدي مرباح- ورقلة.

13- عنصر ، العياشي.(2008). **الأسرة في الوطن العربي: آفاق التحول من الأبوية ...إلى الشراكة**، مجلة عالم الفكر، العدد 3- المجلد 36 .

كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA :

الطالبة خروبي مفيدة ، أ.د.بن عيسى محمد المهدي ، (2022)، **البنية العائلية من الجماعة إلى الفرد...قراءة سوسيولوجية لتغيرات العائلة الجزائرية** (دراسة ميدانية بولاية ورقلة) ، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، المجلد 14(01)/ 2022، الجزائر : جامعة قاصدي مرباح ورقلة (ص.ص 57- 66).